وانهم كانوا اغلظ كفرا واخبث قلوبا واشد عداوة لله ولرسوله وللمومنين
من البعدا عنهم وان كان البعدا متصدين لحرب المسلمين ولهذا قال تعالى في
المنافقين ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقال
فيهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقال في الكفار صم بكم عمي فهم لا يعقلون فالكافر
لم يعقل والمنافق ابصر ثم عمي وعرف ثم تجاهل واقر ثم انكر وامن ثم كفر ومن كان
هكذا فهو اشد كفرا واخبث قلبا واعتى على الله ورسله فاستحق الدرك الاسفل
وفيه معنى اخر وهو ان الحامل لهم على النفاق طلب العز والجاه بين الطايفتين فيرضوا
المومنين ليعزوهم ويرضوا الكفار ليعزوهم ايضا ومن هاهنا دخل عليهم البلا
فانهم ارادوا العز بين الطايفتين ولم يكن لهم غرض في ايمان ولا اسلام ولا طاعة
لله ورسوله بل كان ميلهم وصغوهم ووجهتهم الى الكفار فقوبلوا على ذلك باعظم
الذل وهو ان جعل مستقرهم في اسفل سافلين تحت الكفار فما اتصف به
المنافقون من مخادعة الله ورسوله والذين امنوا والاستهزا باهل الايمان
والكذب والتلاعب بالدين واظهار انهم من المومنين مع انطواء قلوبهم على
الكفر والشرك وعداوة الله ورسوله امر اختصوا به عن الكفار فتغلظ كفرهم
به فاستحقوا الدرك الاسفل من النار ولهذا لما ذكر تعالى اقسام الخلق في اول
سورة البقرة فقسمهم الى مومن ظاهرا وباطنا وكافر ظاهرا وباطنا ومومن
في الظاهر كافر في الباطن وهم المنافقون ذكر في حق المومنين ثلاث ايات وفي الكفار
ايتين فلما انتهى الى ذكر المنافقين ذكر فيهم بضع عشرة اية ذمهم فيها غاية الذم وكشف
عوراتهم وفضحهم واخبر بانهم هم السفهاء المفسدون في الارض المخادعون الله
المستهزؤن المغبونون في اشترايهم الضلالة بالهدى وانهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون
وانهم مرضى القلوب وان الله يزيدهم مرضا الى مرضهم فلم يدع ذما ولا عيبا الا

ذمهم به

ذمهم به وهذا يدل على شدة مقته سبحانه لهم وبغضه اياهم وعداوته لهم وانهم ابغض
اعدايه اليه فظهرت حكمته الباهرة في تخصيص هذه الطبقة بالدرك الاسفل من النار
نعوذ بالله من مثل حالهم ونساله معافاته ورحمته ومن تامل ما وصف الله به المنا
فقين في القران من صفات الذم علم انهم احق بالدرك الاسفل فانه وصفهم بمخا
دعته ومخادعة عباده ووصف قلوبهم بالمرض وهو مرض الشبهات والشكوك
ووصفهم بالافساد في الارض وبالاستهزا بدينه وعباده والطغيان واشترا
الضلالة بالهدى والصمم والبكم والعمى والحيرة والكسل عند عبادته والريا وقلة
ذكره والتردد والتذبذب بين المومنين والكفار فلا الى هولا ولا الى هولا
والحلف باسمه تعالى كذبا وباطلا وبالكذب وبغاية الجبن وبعدم الفقه في الدين
وبعدم العلم والبخل وبعدم الايمان بالله وباليوم الاخر وبالريب وبانهم مضرة
على المومنين لا يحصل لهم بصحبتهم الا الشر من الخبال والاسراع بينهم بالشر والقا
الفتنة وكراهتهم لظهور امر الله ومجي الحق وانهم يحزنون بما يحصل للمومنين
من الخير والنصر ويفرحون بما يحصل لهم من المحنة والابتلا وانهم يتربصون الدواير
بالمسلمين وبكراهتهم الانفاق في مرضات الله وسبيله وبعيب المومنين ورميهم
بما ليس فيهم فيلمزون المتصدقين ويعيبون مزهدهم ويرمون مكثرهم بالريا وارادة
الثنا في الناس وانهم عبيد الدنيا ان اعطوا منها رضوا وان منعوها سخطوا
وبانهم يوذون رسول الله وينسبونه الى ما براه الله منه او يعيبونه بما هو من كماله
وفضله وبانهم يقصدون ارضا المخلوقين ولا يطلبون ارضا رب العالمين وانهم
يسخرون من المومنين وانهم يفرحون اذا تخلفوا عن رسول الله ويكرهون
الجهاد في سبيل الله وانهم يتحيلون على تعطيل فرايض الله بانواع الحيل وانهم يرضون
بالتخلف عن طاعة الله ورسوله وانهم مطبوع على قلوبهم وانهم يتركون ما اوجب